اللّجنة الدّوليّة المشتركة للحوار اللّاهوتيّ
بين الكنيسة الكاثوليكيّة الرّومانيّة والكنيسة الأرثوذكسيّة

سرّ الكنيسة والإفخارستيّا
في ضوء سرّ الثّالوث الأقدس

ميونيخ، ٣٠ حزيران – ٦ تمّوز ١٩٨٢

يتطرّق هذا التّقرير، أمانةً للتّفويض الّذي حصلت عليه اللّجنة في رودس، إلى سرّ الكنيسة من جانب واحد فقط، إلّا أنّه جانب مهمّ بشكل خاصّ في رؤية الكنيسة للأسرار، أي سرّ الكنيسة والإفخارستيّا في ضوء سرّ الثّالوث الأقدس. وقد طلبنا أن ننطلق ممّا هو مشترك بيننا، وأن نتوسّع فيه، وأن نتطرّق تدريجيًّا من الدّاخل إلى النّقاط الّتي لم نتّفق عليها بَعْد.

وإبّان تحرير هذه الوثيقة، نعتزم أن نُبيّن أنّنا بعملنا هذا، إنّما نُعبّر معًا عن إيمانٍ هو استمرار لإيمان الرّسل.

وتُشكّل هذه الوثيقة المرحلة الأولى لهذا الجهد لتحقيق برنامج اللّجنة التّحضيريّة الّذي أُقِرّ إبّان الاجتماع الأوّل للجنة الحوار.

وبما أنّ هذه المرحلة هي الأولى الّتي تتطرّق إلى سرّ الكنيسة من جانب واحد من جوانبه، إذًا هناك العديد من النّقاط الّتي لم يُشَر إليها، ولهذا سنثير جوانبها في مراحل لاحقة، على نحو ما هو منصوص عليه في البرنامج الّذي أشرنا إليه أعلاه.

أوّلًا

١– إنّ المسيح، ابن الله المتجسّد، الّذي مات وقام، هو وحده الّذي انتصر على الخطيئة والموت. في هذا السّياق، يكون الحديث عن طبيعة أسرار سرّ المسيح استحضارًا للإمكانيّة المُعطاة للإنسان، ومن خلاله، للكون، لاختبار الخليقة الجديدة، ملكوت الله، هنا والآن، بواسطة الحقائق الحسِّيَّة المخلوقة. هذا هو الوضع (*tropos*) الّذي يوجد فيه المسيح، الشّخص الفريد والحَدَثُ الفريد، الّذي يعمل في التّاريخ منذ العنصرة حتّى المجيء الثّاني. بيد أنّ الحياة الأبديّة الّتي وهبها الله للعالم في حَدَثِ المسيح، ابنه الأزليّ، يُحمَل في آنية خزفيّة. هذه الحياة قد أعْطِيت كشعور مُسبق وعُربون.

٢– في العشاء السّرّي، أكّد المسيح أنّه أعطى تلاميذَهُ جسدَه من أجل حياة الكثيرين في الإفخارستيّا. هذه العطيّة الّتي قدّمها الله للعالم، قد أخذت طابع الأسرار. ومنذ هذه اللّحظة، تُضحي الإفخارستيّا سرّ المسيح نفسه، وتُصبِح شعور الحياة الأبديّة المسبق، وعلاجًا للخلود، وعلامة لمجيء الملكوت. سرُّ حَدَثِ المسيح يَتجلّى في سرّ الإفخارستيّا، وهو سرّ يدمجنا كلِّيًّا في المسيح.

٣– لقد تحقّق تجسُّد ابن الله وموته وقيامته منذ البداية بحسب إرادة الآب في الرّوح القدس. هذا الرّوح الّذي ينبثق بطريقة أزليّة من الآب، ويتجلّى من خلال الابن، أعدّ حَدَثَ المسيح وحقّقه كلِّيًّا في القيامة. فالمسيح، الّذي هو السِّرّ بامتياز، والّذي أعطاه الآب للعالم، ما برح يُقدّم نفسه عن الكثيرين، بالرّوح، الّذي وحده يُحيي (يو ٦). إنّ سرّ المسيح هو أيضًا حقيقة لا يُمكن أن توجد إلّا في الرّوح.

٤– الكنيسة والإفخارستيّا

أ) على الرّغم من أنّ الإنجيليّين، في رواية العشاء الأخير، لا يقولون شيئًا عن عمل الرّوح، إلّا أنّه كان متّصلًا بالابن المتجسّد، أكثر من أيّ وقت مضى، من أجل تكملة عمل الآب. لم يُعطَ الرّوح بَعْد، ولم ينَلْه التّلاميذ كشخص (يو ٧، ٣٩). ولكن عندما تَمجّد يسوع، فاض الرّوح وتجلّى. يدخل يسوع في مجد الآب، وفي الوقت عينه، بحلول الرّوح القدس في حَدَثَ الأسرار (*tropos*) في هذا العالم. إنّ العنصرة، الّتي هي استكمال لسرّ الفصح، تفتتح في الوقت عينه، الأزمنة الأخيرة. وتُصبح الإفخارستيّا والكنيسة، جسد المسيح المصلوب والنّاهض من بين الأموات، مكانًا لمواهب الرّوح القدس.

ب) يعتمد المؤمنون بالرّوح باسم الثّالوث الأقدس ليشكّلوا جسدًا واحدًا (راجِعْ ١ قو ١٢، ١٣). وحينما تحتفل الكنيسة بالإفخارستيّا، تُدرك «من هي»، إنّها جسد المسيح (١ قو ١٠، ١٧). في الواقع، يَتّحد أعضاء المسيح بالرّوح من خلال المعموديّة والميرون، إذ يُطعَّموا بالمسيح. ولكن، من خلال الإفخارستيّا، يتّسع الحَدَثُ الفصحيّ في الكنيسة، وتُصبح الكنيسة ما هو مدعوّة إليه بالمعموديّة والميرون. وبِتَناول جسد المسيح ودمه، ينمو المؤمنون في هذه الألوهة السّرِيَّة الّتي تُكمّل مسكنهم في الآب والابن بواسطة الرّوح.

ج) فمن جهة، تحتفل الكنيسة بالإفخارستيّا، في هذا الوقت، كتعبير عن اللّيترجيّا السّماويّة. ولكن، من جهة أخرى، تبني الإفخارستيّا الكنيسة، بمعنى أنّ روح المسيح النّاهض من الموت يشيد الكنيسة بواسطتها لتُصبح جسد المسيح. لذا، الإفخارستيّا، في الحقيقة، هي سرُّ الكنيسة، كسرّ الهبة الكاملة الّتي يُقدّمها الرّب

نفسه لأخصّائه وكَتَجَلٍّ ونموٍّ لجسد المسيح الّذي هو الكنيسة. تحتفل الكنيسة السّائحة على الأرض بالإفخارستيّا إلى أن يُسلّم ربّها الملكيّة إلى الله الآب، ليكون الله الكلّ في الكلّ. وهكذا تستبق الكنيسة دينونة الله وتجلّيه النّهائيّ.

٥– تبقى رسالة الرّوح القدس مرتبطة برسالة الابن. ويكشف احتفال الإفخارستيّا عن الطّاقات الإلهيّة الّتي يُظهرها الرّوح القدس الّذي يعمل دومًا في جسد المسيح:

أ) يُهيئ الرّوح مجيء المسيح ويُبشّر به عن طريق الأنبياء، ويوجّه تاريخ الشّعب المختار إليه، ليُولد من العذراء مريم، ويفتح القلوب على كلمته.

ب) يُظهِر الرّوح القدس المسيح في عمله كمخلّص، وهو الإنجيل نفسه. والاحتفال الإفخارستيّ هو الذّكرى (*Anamnesis*): حقًّا، ولكن يتجلّى كسرّ في أيّامنا، وكأنّه يحدث للمرّة الأخيرة (*Ephapax*). الاحتفال بالإفخارستيّا هو لازمن (*kairos*) السِّرّ بامتياز.

ج) يُحوّل الرّوح المواهب المقدّسة إلى جسد المسيح ودمه (*metabole*)، كي يكتمل نموّ الجسد الّذي هو الكنيسة. ممّا يعني أنّ الاحتفال بأكمله هو استدعاء الرّوح القدس (*epiclesis*)، الّذي يصبح أكثر وضوحًا في بعض الأوقات. ذلك أنّ الكنيسة هي دومًا في حالة استدعاء للرّوح القدس.

د) يُدخِل الرّوح القدس في شركة مع جسد المسيح أولئك الّذين يشتركون في الخبز نفسه والكأس نفسه. كما تكشف الكنيسة عن هويّتها: سرّ الشّركة الثّالوثيّة، «مسكن الله مع البشر» (رؤ ٢١، ٤).

والرّوح، من خلال تحقيق ما فعله المسيح مرّة إلى الأبد – حدث السّرّ – يُكمله فينا جميعًا. هذه العلاقة بالسّرّ، الواضحة بشكلّ جليّ في الإفخارستيّا، تتجلّى في سائر الأسرار، إذ هي كلّها أعمال الرّوح القدس. لذا، إنّ الإفخارستيّا هي محور حياة الأسرار.

هـ) إنّ الاحتفال الإفخارستيّ في مُجمَله يجعل سرّ الكنيسة الثّالوثيّ سرًّا حاضرًا. فإبّان الاحتفال، ننتقل من سماع الكلمة، الّتي تبلغ ذروتها في إعلان الإنجيل – التّبشير الرّسوليّ بالكلمة المتجسّد – إلى الشّكر للآب، إلى ذكرى ذبيحة المسيح وإلى الشّركة معه، بفضل صلاة استحضار الرّوح القدس في الإيمان. ذلك، أنّ استدعاء الرّوح القدس، في الإفخارستيّا، ليس مجرّد ابتهال من أجل التّحوُّل السّرّي للخبز والكأس. إنّها أيضًا صلاة للتّأثير الكامل لمشاركة الجميع في السِّرّ الّذي أوحى به الابن.

٦– بهذه الطّريقة، يمتدّ حضور الرّوح نفسه من مشاركة سرّ الكلمة المتجسّد إلى جسد الكنيسة كلّه. ومن دون أن نسعى إلى حلّ الصّعوبات الّتي أُثيرت في الشّرق والغرب في مسألة العلاقة بين الابن والرّوح، يُمكننا القول معًا إنّ هذا الرّوح الّذي ينبثق من الآب (يو ١٥، ٢٦)، هو المصدر الوحيد في الثّالوث، والّذي أصبح روح تبنّينا (رو ٨، ١٥)، لأنّه هو أيضًا روح الابن (غلا ٤، ٦)، قد وصل إلينا بخاصّة بواسطة الإفخارستيّا، بالابن الّذي يستند إليه في الزّمن وفي الأزليّة (يو ١، ٣٢).

لهذا السّبب، يكتمل السِّرّ الإفخارستيّ في الصّلاة المرتبطة بالكلمات الّتي بها أسّس الكلمةُ المتجسِّد السِّرَّ واستدعاءَ الرّوح القدس، إذ بواسطته تتحرّك الكنيسة بالإيمان، وتبتهل إلى الآب، بواسطة الابن لإرسال الرّوح القدس، الّذي، من خلال القربان الفريد للابن المتجسّد، يتمّ كلّ شيء في الوحدة. يتّحد المؤمنون بالمسيح من

خلال الإفخارستيّا، الّذي يهب نفسه للآب معهم، وينالون القدرة ليُقدّموا أنفسهم بروح التّضحية كما قدّم المسيح نفسه للآب من أجل الجميع ومن أجل البشر أيضًا.

هذا الاكتمال في الوحدة، الّذي تمّ إنجازه بواسطة الابن والرّوح من دون انفصال، والّذي يعمل من خلال العودة إلى الآب وقصده، هو الكنيسة في ملئها.

ثانيًا

١– إذا استندنا إلى العهد الجديد، سيسترعي انتباهنا أوّلًا أنّ الكنيسة تدلّ على واقع «محلّيّ». توجد الكنيسة في التّاريخ ككنيسة محلّيَّة. فبالنّسبة إلى منطقة ما، نتحدّث بالأحرى عن الكنائس بصيغة الجمع. ومع ذلك تبقى دومًا كنيسة الله، ولكن مرتبطة بمكان.

بيد أنّ الكنيسة الّتي تربط بمكان ما، لم يؤسّسها، في الأصل، أشخاصٌ أضيفوا إليها، من أجل بنائها. يوجد «أورشليم علويّة»، «تنزل من عند الله»، شركة تأسيسيّة للجماعة نفسها. نشأت الكنيسة من عطيّة مجّانيّة، وهي عطيّة الخليقة الجديدة.

فمن الواضح، مع ذلك، أنّ الكنيسة المرتبطة بمكان ما تُظهر نفسها على هذا النّحو عندما تكون «جماعة». هذه الجماعة نفسها الّتي يشير العهد الجديد إلى عناصرها ومتطلّباتها، تكون كذلك تمامًا، عندما تُصبح مجتمعًا (*synaxis*) إفخارستيًّا. في الواقع، عندما تحتفل الكنيسة المحلّيَّة بالإفخارستيّا، يتحقّق الحدث الّذي حصل مرّة نهائيّة ويتجلّى. في الكنيسة المحلّيَّة، لا يوجد إذًا لا رجل ولا امرأة، ولا عبد ولا

حرّ، ولا يهوديّ ولا يونانيّ. تُمنح وحدة جديدة تتغلّب على الانقسامات وتُرمّم الشّركة في جسد المسيح الواحد. هذه الوحدة تتجاوز الوحدة النّفسيّة والعرقيّة والاجتماعيّة السّياسيّة أو الثّقافيّة. إنّها «شركة الرّوح القدس» الّتي تجمع أبناء الله المُشتَّتين. ومن ثمّ، تُنتج جِدّة المعموديّة والميرون ثمارها كاملة. وبقوّة جسد الرَّبّ ودمه، الممتلئ بالرّوح القدس، تُشفى الخطيئة، الّتي ما برحت تلاحق المسيحيّين وتُعيق حيويّة «الحياة من أجل الله في المسيح يسوع» الّتي حصلوا عليها بالمعموديّة. هذا الأمر ينطبق أيضًا على خطيئة الانقسام الّتي تتعارض جميع أشكالها مع قصْد الله.

إنّ أحد أهمّ النّصوص الّتي يجب التّذكير بها هو نصّ ١ قور ١٠: ١٥-١٧: خبز واحد، كأس واحدة، جسد واحد للمسيح في تعدّديّة الأعضاء. ويُشكّل سرّ الوحدة في حبّ بضعة أشخاص جدّيّة الشّركة الثّالوثيّة الّتي تنقلها الإفخارستيّا إلى النّاس في الكنيسة. هذا هو هدف عمل المسيح الخلاصيّ المنتشر في آخر الزّمن، منذ العنصرة.

لهذا السّبب تجد الكنيسة قدوتها وأصلها ونهايتها في سرّ الله الواحد في ثلاثة أقانيم. وعلاوةً على ذلك، إنّ الإفخارستيّا، الّتي تُفهم في ضوء السِّرّ الثّالوثي، تشكّل المقياس لعمل الكنيسة ككلّ. كما ينبغي للعناصر التّأسيسيّة أن تكون انعكاسًا مرئيًّا للواقع السِّرّيّ.

٢- يُبيّن تطوّر الاحتفال الإفخارستيّ للكنيسة المحلّيّة كيف تتحقّق الشّركة في الكنيسة الّتي تحتفل بالإفخارستيّا. وفي احتفال الإفخارستيّا من الجماعة المحيطة بالأسقف بكلّ نشاط أو بالكاهن الّتي في شركة معه، نلاحظ الجوانب التّالية،

المتداخلة بعضها في بعض، ولو كانت هذه اللّحظة أو تلك من الاحتفال تؤكّد بشكل خاصّ على هذا الجانب أو ذاك.

الشّركة هي حالة إسكاتولجيّة. إنّها الحَدَث الجديد الّذي يأتي في آخر الأزمنة. لهذا السّبب، يبدأ كلّ شيء بالإفخارستيّا كما في حياة الكنيسة، بالارتداد والمصالحة. وتفترض الإفخارستيّا التّوبة والاعتراف، إذ يجدان تعبيرهما السِّرّيّ في مكان آخر. بيد أنّ الإفخارستيّا تغفر وتشفي من الخطايا، لأنّها سرّ حبّ الآب المؤلِّه، من خلال الابن وفي الرّوح القدس.

بيد أنّ هذه الشّركة هي أيضًا شركة كِرازيّة. ويتحقّق هذا الأمر في الاجتماع (*synaxis*)، لا لأنّ الاحتفال «يُعلِن» عن حَدَث السِّرّ فحسب، بل لأنّه يُحقّقه اليوم في الرّوح. ويتضمّن ذلك إعلان الكلمة للجماعة وجواب الإيمان من الجميع. وهكذا تتحقّق شركة الجماعة في الكرازة، وبالتّالي الوحدة في الإيمان. وممّا لا شكّ فيه أنّ الأرثوذكسيّة متأصّلة في الشّركة الإفخارستيّة. وتتجلّى الأرثوذكسيّة بشكل واضح في إعلان رمز الإيمان الّذين هو خلاصة التّقليد الرّسوليّ الّذي يشهد له الأسقف بِحُكم خلافته.

وهكذا، الإفخارستيّا سرّ وكلمة لا ينفصلان، ذلك أنّ الكلمة المتجسّد هو الّذي يُقدّس في الرّوح. لذا، والحالة هذه، إنّ اللّيترجيا بأكملها، وليست قراءة الكتب المقدّسة فحسب، تشكّل إعلانًا للكلمة في شكل تمجيد وصلاة. وبالمقابل، إنّ الكلمة المُعلَنة هي الكلمة المتجسّدة الّتي تتجلّى في الأسرار.

الشّركة (*koinōnía*) هي خدمة وروح على حدّ سواء. لهذا السّبب، إنّ الإفخارستيّا هي تجلٍّ لهذه الشّركة بامتياز. كما أنّ الجماعة، كلّ واحد في مرتبته، هي «ليترجيّا» الشّركة، ولا يُمكن أن تكون إلّا بالرّوح القدس. ومع أنّ الشّركة هي هِبَةُ الله الثّالوثيّة، إلّا أنّها أيضًا جواب النّاس. هؤلاء، في الإيمان الّذي يأتي من الرّوح القدس والكلمة، يُمارسون الدّعوة والرّسالة الّتي تلقّوها من المعموديّة: أن يُصبحوا، كلّ واحد في مرتبته، أعضاء أحياء في جسد المسيح.

٣– لا تُستنفدُ خدمة الأسقف في وظيفة تكتيكيّة أو براغماتيّة (لأنّ هناك حاجة إلى رئيس)، ذلك أنّها وظيفة عضويّة. يتلقّى الأسقف موهبة النّعمة الأسقفيّة (١ تيمو ٤، ١٤)، في سرّ التّكريس، الّتي كمّلها الأساقفة الّذين حصلوا أنفسهم على هذه الموهبة، بفضل وجود الخلافة المستمرّة بواسطة وَضْعِ أيدي الأساقفة، بدءًا بالرّسل القدّيسين. بواسطة سرّ الكهنوت، يُنعِمُ روح الرّب على الأسقف سُلطة الخادم، ليس من النّاحية القانونيّة، كنقلٍ محضٍ للسُّلطة، بل من ناحية الأسرار، الّتي حصل عليها الابن من الآب، والّتي قبلها من النّاحية الإنسانيّة برضاه في آلامه.

ترتبط وظيفة الأسقف ارتباطًا وثيقًا بالجماعة الإفخارستيّة الّتي يترأّسها. وتتضمّن الوحدة الإفخارستيّة للكنيسة المحلِّيَّة الشّركة بين من يترأّس الاحتفال وبين النّاس الّذين يُسلّمهم كلمة الخلاص والمواهب الإفخارستيّة. وعلاوةً على ذلك، يكون الخادم الشّخص الذي يحصل من كنيسته، أمانة منه للتّقليد، الكلمة الّتي ينقلها. وما الشّفاعة الكبرى الّتي يرفعها نحو الآب سوى شفاعة كنيسته كلّها معه. وكما أنّ الجماعة لا يُمكن أن تنفصل عن أسقفها، كذلك لا يُمكن للأسقف أن ينفصل عن كنيسته.

يقيم الأسقف في قلب كنيسته المحلِّيَّة كخادم للرّوح لتمييز المواهب والسّهر عليها كي تُمارس بانسجام، من أجل خير الجميع، وذلك أمانةً للتّقليد الرّسوليّ. وهو في خدمة مبادرات الرّوح القدس كي لا يمنعها شيء من الإسهام في بناء الشّركة. إنّه خادم الوحدة، خادم المسيح الرَّبّ، وما مهمّته سوى «جمع أبناء الله في الوحدة». وبما أنّ الكنيسة قد أُنشئَت بواسطة الإفخارستيّا، فهو (الأسقف) الّذي يترأّسها، مرتديًا نعمة الخدمة الكهنوتيّة.

بيد أنّه ينبغي لنا أن نفهم هذه الرّئاسة. يترأّس الأسقف ذبيحة القرابين الّتي هي قرابين جماعته بأكملها. وبما أنّ الأسقف يُكرّس الهبات كي تصبح الجسد والدّم اللّذَيْن تُقدّمهما الجماعة، فهو لا يحتفل من أجلها ولا معها ولا فيها، بل من خلالها. ويظهر كخادم للمسيح، ويصنع وحدة جسده، ويخلق الشّركة بواسطة جسده. إنّ اتّحاد الجماعة مع الأسقف هو أوّلًا اتّحاد من منطلق السّرّ، وليس من منطلقًا قانونيًّا بشكل أساسيّ. هذا الاتّحاد المُعبَّر عنه في الإفخارستيّا يَمتدّ ويتحقّق في مُجمَل العلاقات الرّاعويّة للسُّلطة والإدارة وحياة الأسرار. في هذا السّياق، الجماعة الكنسيّة مدعوّة إلى أن تكون بداية جماعة إنسانيّة متجدّدة.

٤– هناك شركة عميقة بين الأسقف والجماعة، إذ يُكلّفه الرّوح القدس بالمسؤوليّة عن كنيسة الله. وقد أثار التّقليد القديم هذه المسألة، بنجاح، من خلال صورة العرس. بيد أنّ هذه الشّركة تقع في إطار الشّركة مع الجماعة الرّسوليّة. وفي التّقليد القديم (الّذي يشهد له بصورة خاصّة تقليد هيبّوليتوس الرّسوليّ)، يحصل الأسقف المنتخب من الشّعب – الّذي يضمن إيمانه الرّسوليّ، وفقًا لما تُقرّ به الكنيسة المحلِّيَّة – نعمة الخدمة من المسيح بواسطة الرّوح القدس في صلاة الجماعة بوضع أيدي

(*chirotonia*) الأساقفة المجاورين، الّذين هم شهود لإيمان كنيستهم. إنّ موهبته، الآتية مباشرة من الرّوح القدس، تُعطى له في رسوليّة كنيسته (المرتبطة بإيمان الجماعة الرّسوليّة)، وفي رسوليّة الكنائس الأخرى المُمثَّلة بأسقفها. بهذه الطّريقة، تندمج خدمته في كاثوليكيّة الله الجامعة.

لذلك، تحمل الخلافة الرّسوليّة أكثر من مجرّد نقل للسُّلطة. إنّها خلافة ضمن الكنيسة، وشهادة للإيمان الرّسوليّ، في شركة مع سائر الكنائس الشّاهدة على الإيمان الرّسوليّ نفسه. ولعرش[1] (*sedes*) الأسقف دور رئيسيّ في دمج الأسقف في قلب رسوليّة الكنيسة. ومن جهة أخرى، ما إن يُرسم الأسقف، حتّى يصبح في كنيسته ضامِن الرّسوليّة، فهو الّذي يُمثّلها ضمن شركة الكنائس، وهو رابطها مع سائر الكنائس. لهذا السّبب، لا يُمكن الاحتفال في كنيسته بأيّ إفخارستيّا إلّا إذا ترأّسها هو أو كاهن في شركةٍ معه. لذا، إنّ ذكر اسمه إبّان رفع القرابين أمر أساسيّ.

من خلال خدمة الكهنة، المكلَّفين برئاسة الاحتفال الإفخارستيّ للجماعات الموكلة إليهم، تنمو هذه الجماعات في الشّركة مع سائر الجماعات الّتي يضطلع الأسقف فيها بمسؤوليّته الأولى. وفي الوضع الحاليّ، الأبرشيّة نفسها هي شَرِكة للجماعات الإفخارستيّة. إنّ إحدى الوظائف الأساسيّة للكهنة هي رَبْطُ هذه الجماعات بإفخارستيّا الأسقف وتغذيتها بالإيمان الرّسوليّ الّذي يكون فيه الأسقف الشّاهد والضّامن. كما يجب على الكهنة أن يسهروا على المسيحيّين، الّذين تغذّوا من جَسد ودَم الّذي قدّم حياته من أجل إخوته، كي يكونوا شهودًا صادقين للحبّ الأخويّ، في التّضحية المتبادلة المغذّاة من ذبيحة المسيح. فبحسب كلمة الرّسول

[1] يرمز عرش الأسقف في الكنيسة إلى سلطته القانونيّة.

يوحنّا: «من كانت له خيرات الدّنيا ورأى بأخيه حاجةً فأغلق أحشاءه دون أخيه فكيف تُقيم فيه محبّة الله»؟ (١ يو ٣، ١٧). تُحدّد الإفخارستيّا الطّريقة المسيحيّة في عيش السِّرّ الفصحيّ للمسيح وعطيّة العنصرة. بفضل العنصرة، يحدث تحوّل عميق في الوجود المسيحيّ، الّذي يواجه دومًا التّجربة والألم.

ثالثًا

١ – إنّ جسد المسيح واحد. فلا يوجد إذًا إلّا كنيسة واحدة لله. كما أنّ هويّةَ جماعةٍ إفخارستيّة مع جماعة أخرى، إنّما تنبع من حقيقة أنّ هذه الجماعات كلّها، تحتفل بالإيمان عينه وبالذّكرى عينها، وأنّها من خلال أكل الجسد والاشتراك في الكأس الواحدة تُصبح جسد المسيح الواحد الأوحد نفسه الّذي دُمجت فيه بالمعموديّة نفسها. وإذا كان هناك تعدُّدٌ في الاحتفالات، فلا يكون سوى سرّ واحد يُحتَفى به ونُشارك فيه. وعلاوة على ذلك، عندما يتناول المؤمن جسد الرَّبّ ودمه، لا يتناول جزءًا من المسيح، بل المسيح الكلّيّ. وكذلك الكنيسة المحلِّيَّة الّتي تحتفي بالإفخارستيّا حول الأسقف، فهي أيضًا ليست قطعة من جسد المسيح. إنّ تعدُّد الاجتماعات المحلِّيَّة لا يُقسّم الكنيسة، بل على العكس، يُظهر الوحدة من خلال الأسرار. كلّ جماعة إفخارستيّة، على غرار جماعة الرّسل المجتمعة حول المسيح، هي بالحقيقة كنيسة الله المقدّسة، جسد المسيح، وفي شركة مع جماعة التّلاميذ الأولى والجماعات الّتي احتفت وما تزال بذكرى الرَّب في أرجاء العالم. إنّها أيضًا في شركة مع جماعة القدّيسين في السّماء الّتي يستحضرها كلّ احتفال.

٢– لا تنفي الشّركة التّنوُّع والتّعدُّد، بل تفترضه وتشفي جراحات الانقسام، وتتجاوزها في الوحدة. وبما أنّ المسيح واحد من أجل الكثيرين، هكذا في الكنيسة، الّتي هي جسده، يلتقي فيها في الوقت عينه الواحد والمتعدّد، الشّامل والمحلّيّ. وبطريقة أعمق، بما أنّ الإله الواحد الأوحد هو شركة أقانيم ثلاثة، فالكنيسة الواحدة هي شركة عدّة جماعات، والكنيسة المحلّيَّة هي شركة أشخاص. الكنيسة واحدة تتماهى مع شركة الكنائس. الوحدة والتّعدُّديّة مرتبطتان بحيث لا تظهر الواحدة من دون أن توجد الأخرى. هذه هي العلاقة التّأسيسيّة للكنيسة الّتي تجعل المؤسّسات مرئيّة، إذ تُضفي عليها طابعًا تاريخيًّا.

٣– وبما أنّ الكنيسة الكاثوليكيّة تتجلّى في اجتماع (*synaxis*) الكنيسة المحلّيَّة، فلا بدّ من تحقيق شرطَيْن كي تكون الكنيسة المحلّيَّة الّتي تحتفل بالإفخارستيّا في شركة كنسيّة حقيقيّة.

أ) في الواقع، إنّ هويّة سرّ الكنيسة المعيش في الكنيسة المحلّيَّة مع سرّ الكنيسة المعيش في الكنيسة الأولى، – جامعة في تلك الفترة — هي أساسيّة. الكنيسة رسوليّة لأنّها تأسّست وترسّخت في سرّ الخلاص الموحى بيسوع المسيح، والّذي نقله بواسطة الرّوح القدس، الّذين كانوا شُهوده، الرّسل. وسوف يدين المسيح والرّسل أعضاء الكنيسة (راجِعْ، لو ٢٢، ٣٠).

ب) إنّ الاعتراف المتبادل اليوم، بين الكنيسة المحلّيَّة والكنائس الأخرى، هو أيضًا في غاية الأهمِّيَّة. ينبغي لكلّ كنيسة أن تُقِرّ في الكنائس الأخرى، من خلال خصوصيّاتها الخاصّة، بهويّة سرّ الكنيسة. إنّه اعتراف متبادل للكاثوليكيّة باعتبارها شركة في كمال السِرّ. ويكتمل هذا الاعتراف أوّلًا على المستوى الإقليميّ. إنّ الشّركة

ضمن البطريركيّة الواحدة أو ضمن أيّ شكل من الوحدة الإقليميّة، هي أوّلًا تجلٍّ لحياة الرّوح القدس في الثّقافة عينها أو في الشّروط التّاريخيّة نفسها. وتفترض أيضًا وحدة الشّهادة وتدعو إلى ممارسة الإصلاح الأخويّ في التّواضع.

هذه الشّركة ضمن المنطقة عينها يجب أن تتخطّى ذاتها في الشّركة بين الكنائس الشّقيقة.

بيد أنّ هذا الاعتراف المتبادل لا يكون صحيحًا إلّا ضمن الشّروط المُعبَّر عنها في أنافور يوحنّا الذّهبي الفمّ والأنافورات الأنطاكيّة الأولى. أحدها هو الشّركة في الكرازة عينها، أي في الإيمان عينه. هذا المطلب الموجود فعليًّا في المعموديّة، قد توضّح في الاحتفال الإفخارستيّ. إلّا أنّه لا بدّ أيضًا من إرادة الشّركة في المحبّة (*agape*) وفي الخدمة، لا في الكلام فحسب، بل في الأفعال.

إنّ كلًّا من الاستمراريّة عبْر التّاريخ والاعتراف المتبادل قد تمّ استحضاره بشكل خاصّ في الجماعة (*synaxis*) الإفخارستيّة من خلال ذكر القدّيسين في القانون والدّبتيخة لمسؤوليّ الكنيسة. وهكذا نَفْهم لماذا يكون المسؤولون علامة الوحدة الكاثوليكيّة في الشّركة الإفخارستيّة، ومسؤولين، كلّ على طريقته، عن الحفاظ على الشّركة في سمفونيّة الكنائس العالميّة وأمانتها المشتركة للتّقليد الرّسوليّ.

٤– نجد إذًا، بين هذه الكنائس، روابط الشّركة الّتي يعرضها العهد الجديد: شركة في الإيمان، في الرّجاء وفي المحبّة، شركة في الأسرار، شركة في تنوُّع المواهب، شركة في المصالحة، شركة في الخدمة. والعنصر العامل في هذه الشّركة هو روح الرَّبّ النّاهض من الأموات. بواسطة الرّوح، تدمج الكنيسة الكاثوليكيّة العالميّة التّنوُّع أو التّعدّديّة،

إذ تجعلهما أحد عناصرها الأساسيّة. وتُمثّل الكاثوليكيّة تكملة صلاة الفصل ١٧ من إنجيل يوحنّا، الّتي تُعاد في استدعاء الرّوح القدس إبّان الإفخارستيّا.

إنّ التّمسُّك بالشّركة الرّسوليّة يربط جميع الأساقفة الّذين يُشرفون على إدارة الكنائس المحلِّيَّة بمَصَفّ الرّسل. وهم أيضًا يُشكّلون مَصَفًّا متأصّلًا بالرّوح للمجموعة الرّسوليّة، «مرّة وإلى الأبد»، شهادة فريدة للإيمان. هذا لا يعني فحسب أنّه يجب أن يتّحدوا فيما بينهم بالإيمان والمحبّة والرّسالة والمصالحة، بل أن يشتركوا أيضًا في المسؤوليّة عينها والخدمة عينها للكنيسة. لأنّ في كنيسة الأسقف المحلِّيَّة تتحقّق الكنيسة الواحدة والفريدة، فلا يستطيع كلّ أسقف أن يفصل هَمّ كنيسته عن هَمّ الكنيسة العالميّة. وعندما ينال الأسقف من خلال سرّ الكهنوت موهبة الرّوح القدس لأسقفيّة كنيسة محلِّيَّة، كنيسته، ينال في الوقت عينه موهبة الرّوح القدس من أجل أسقفيّة الكنيسة كلّها.

ويُمارس مع شعب الله، في شركة مع جميع الأساقفة، هنا والآن، ويتولّى مسؤوليّة الكنائس في شركة مع التّقليد الحيّ الّذي نقله الأساقفة في الماضي. إنّ حضور أساقفة كراسيّ الجوار في سيامته الأسقفيّة تجعل منها سرًّا وتُحقّق هذه الشّركة. إنّها تُنتج تناضحًا (*fusion*) في اهتمامها بالجماعة المحلِّيَّة واهتمامًا بالكنيسة المنتشرة في كلّ الأرض. وتُسند أسقفيّة الكنيسة الشّاملة بواسطة الرّوح إلى جميع الأساقفة المحلِّيّين في شركة بعضهم مع بعض. يُعبَّر عن هذه الشّركة من النّاحية التّقليديّة في الممارسة المَجمعيّة. وسيتعيّن علينا أن ندرس لاحقًا الطّريقة الّتي يتمّ بها تصوُّر هذه الشّركة وتحقيقها، من وجهات النّظر الّتي حدّدناها.